

٢- الامتيازات الأجنبية والضرائب

للأستاذ زكي دياب المحامي

القديمة التي كانت تفرض من جانب الظافر على المهزوم وبين الضرائب التي تفرض في الدول الحديثة .

وترى الأوساط الأجنبية هنا وجوب الأعفاء من كل تلك الضرائب ، ضريبة الأراضي العقارية والرسوم الجمركية ، ويرد على هذا بأن العامل الوحيد الذي حدا بالدول الى طلب هذا الامتياز والحرص عليه هو وضع الأجانب في مأمن من تيار الضرائب الكيدية التي كان يفرضها الحكام في ذلك الوقت بدليل أن نص الاتفاقات لا يتضمن إعفاء عاماً للأجانب ، فالدول في الواقع كانت تقصد حماية رعاياها من حيث طريقة جباية الضريبة ولكنها لا تعارض في فرضها . ومادامت قد ذهبت العلة فلا داعي لبقاء المعاول . فدوافع الكيد معدومة .

ولا غرو فبدأ المساواة في تحمل الضرائب قد جذته لجنة التحقيق في بيانها سنة ١٨٧٨ . وهي مؤلفة من أجانب عينوا بعد مفاوضات مع الدول . أليست هذه حجة قوية ؟ وأليست هذه شهادة شهود من أهلهم ؟

وفي مؤتمر لندن سنة ١٨٨٥ أكدت الدول بصراحة رغبتها في المساواة ، ورأت من العدل إخضاع الرعايا الأجانب القاطنين بمصر لنفس الضرائب التي يخضع لها المصريون . . . وقبلت (الدول) تنفيذ ديكريته سنة ١٨٨٤ الخاص بالضرائب على أراضي البناء فسرى على الأجانب والمصريين كما سبق القول . وفي قرارات ذلك المؤتمر الخطير حجة لنا دامغة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وفي مستهل القرن العشرين استنكرت الشخصيات الكبيرة المعروفة في عالم السياسة نظام الامتيازات في مصر فصرح اللورد ملتر في كتابه (England in Egypt) أو (إنجلترا في مصر) بأن إعفاء الأجانب من الضرائب في القطر المصري من المنح التي خلقتها الامتيازات بدون وجه حق ، وفي عبارته التالية مبلغ ذوده عن رأيه الحكيم : —

« L'exemption des impôts pour les étrangers est le plus insolite des privilèges accordés sous le régime des Capitulations. »

وأعرب لورد كرومر بأنه لا يتردد في القول بأن النظام المعروف بالامتيازات في مصر لا يتفق إطلاقاً وحالة مصر الحاضرة :

يرى بعض الشراح أن إعفاء الأجانب من الضرائب التي تفرضها الحكومة المصرية قائم على اتفاقات دولية ، وهم في زعمهم خاطئون . وآية ذلك أن الاتفاقات الخاصة بالامتيازات كانت ترمي الى إعفاء الأجانب من الضرائب الكيدية ، وخصوصاً ضريبة الرأس (Capitation) وهي ما تقضى قواعد الشريعة المطبقة في الدولة العلية حينذاك بأن تجبي من كل أجنبي يقيم أكثر من سنة في بلد إسلامي . وكانت تعتبرها الشريعة أيضاً نوعاً من الجزية ، فضلاً عن أن في دفعها مظهراً للاستبداد والتعسف المالي . هذا ويلاحظ أنه وإن كانت هذه الاتفاقات تحمي الأجانب من حملة المكائد إلا أنها لم تعفهم إعفاء مطلقاً من الضرائب بكافة أنواعها . وقد كانت الأجانب منظوراً اليه بعين الكراهية لنزعتهم الدينية ، وبدراسة نصوص الاتفاقات الفرنسية والإنجليزية يظهر ذلك جلياً . على أنه وإن كانت الاتفاقات الفرنسية تعفي الأجانب من فرائض صغيرة فيها شيء من التعسف ، فإن ذلك الوضع لا يمنع من فرض ضرائب معروفة لدى الدول المتمدينة ، فالهوة سحيقة بين الجزية

عظيم في تاريخ الإنسانية ؛ وفيه وصف شائق لكثير من أحوال البابوات وبذخهم وقصورهم ، ووصف لأخلاق الأتباع ودسائسهم واستغلالهم لطبقات المجتمع الأخرى ، ووصف لأحوال الجمهوريات الإيطالية في ذلك العصر وأمرائها وسادتها ؛ والخلاصة أنه يلقي أكبر الضياء على تاريخ عصر من أهم عصور إيطاليا ، وعصر يعتبر بحق فجر التاريخ الحديث . وفي رأينا أن كتاب تشليني من أجدر الآثار العربية وأحقها بالترجمة العربية ؛ وقد ترجم فعلاً من الإيطالية الى جميع اللغات الأوروبية ؛ فعسى أن يتقدم بعض شبابنا المثقف فيتحفنا بترجمة عربية بديعة لذلك الأثر البديع ؟

محمد عبد الله عنانه
المحامي

« تم البحث »

الذكرى

للأديب حسين شوقي

مضى عام كامل منذ أن رافق (س) رفاتها الى المقر الأخير ،
فراى أن يزور القبر بهذه المناسبة وأن يضع على الضريح طاقة من
البنفسج ، لأنها كانت تحب هذا الزهر الذى طالما لاحت زرقته
فى انشائي عينيها ، ثم قصد الى محل الشاي حيث اعتاد مقابلتها
لدى خروجها من عملها ، وجلس الى المائدة التى كانت تجلس اليها
وهى تنتظره فى شغف وسرور . . ثم أقبل الخادم وكان هو بعينه
الذى خدمهما فى العام الماضى ، فخياه (س) كالعادة فى لطف ودعة ،
ثم طلب منه الطلب نفسه : قدحين من الشاي ، فدهش الخادم
لأن الرجل لم يكن معه أحد ، ثم أخرج (س) مجموعة من
الرسائل التى علتها صفرة القدم ثم أخذ يتلوها واحدة واحدة
للمرة المتممة للمائة ، ولكن كان يجد فيها دائماً لذة جديدة كأنها
لحن من ألحان ديوسى الشجية التى لاتبها النفس أبداً . .

هاهى ذى ذكريات الماضى ماثلة أمامه : مقابلاته الأولى مع
محبوبته ، رحلاتهما ، نزاهتهما ، نوادرهما ، جلساتهما فى هذا المكان
نفسه ، تناولهما الشاي فى هذه الساعة نفسها ، كل ذلك كان يحس
وجوده ، حتى المحبوبة خيل اليه أنها بجواره . . كان يشعر بلذة عظيمة
من أجل هذا ، لقد أتى عملاً يعدّ من معجزات الرسل اذ تحدّى
الفناء وعلا سلطانه فوق سلطان الدهر ، ولو الى زمن قصير !

مضت ساعة ، فساعة ولم يحضر أحد . . وكان الخادم يرقبه
فظن أن الرجل ضحية خيبة أمل من عشيقه . . ولكن على حين
فجأة تذكر قصة هذا الرجل ففهم الحقيقة المؤلمة لما كان يبدو على
(س) من مظاهر اليأس المتجلد ، ففجّل من نفسه وأشفق على
الرجل شفقة عظيمة ، كما أعجب من تحدّيه للموت ومن وفائه
لمحبوبته المتوفاة ، ثم اقترب منه ومدّ اليه معترداً لسوء ظنه قائلاً :
آسف جداً ياسيدى لقد شككت فى وفائك ، سامحني ! فصاحفه
(س) فى حزن وألم مردداً : لا بأس لا بأس . . وكأنه أفاق من
حامه الجميل فعاد الى عالم الألم والشقاء ، يئن تحت سلطان الزمن .

حسين شوقي

« Je n' hésite pas à dire que le système connu sous le nom générique de Capitulations, tel qu'il est partiqué aujourd'hui en Egypte, est tout a fait incompatible avec la situation actuelle de l' Egypte. »

وبعد ، أليس من الجور فى أخص صورته أن مصر وقد
خطت فى سبيل المدنية الصحيحة والتقدم خطوات لم تنكرها
عليها الدول ؟ أليس من الجور أن مصر هذه إن أرادت فرض
ضريبة جديدة تستعين بها على ما تقوم به من أعمال كبار
أن تلجأ الى اثنتى عشرة دولة تلتئم موافقها ؟ إنه مظهر من
مظاهر قصور السيادة ، وجرح لا يندمل فى صميم العزة القومية .
ومن ذلك ما حدث خلال المدة التى أعلنت فيها الأحكام
العرفية على البلاد ، إذ جرت السلطة العسكرية على إصدار
أوامر تسرى على الوطنيين والأجانب سواء بسواء ، وكان بين
هذه الأوامر ما يتعلق بفروض مالية قبل الأجانب ، والوطنيون
يحملونها . فلما ألغيت الأحكام العرفية أثار إلغاؤها دفائن العصيان
المدنى لأوامر الحكومة المصرية ، فامتنع أكثر الأجانب عن
دفع ضريبة الخفر ، وأشار بذلك بعض القناصل وعللوا الامتناع بأن
دولهم لم توافق عليها . وما كانوا ليقولوا كلمة وقت أن فرضتها
السلطة العسكرية .

ومجمل القول أن نظام الضرائب فى مصر جد متناقض ، وعلة
ذلك نظام الامتيازات العتيق والتوسع الضار الذى خلقه العرف
السائد الآن والقواعد القديمة البالية ، والأوضاع الكيدية المهينة
التي صورتها الامتيازات . وهل ترى من العدالة أن الأراضى
الزراعية وجلها فى يد المصريين تثقل بالضرائب حتى لتكاد تستغرق
الايراد ، أما التجارة الواسعة وهى فى يد الأجانب ، والصناعة
المتأززة المكسبة ، والمصارف الكبرى وكل ذلك فى يدهم ، فمعنى
من الضرائب .

وأخيراً فلا تردد فى إبراز الحقيقة نيرة فى سطور معدودة
ذلك أن قيام الأجانب متمسكين فى وجه مصر بامتيازاتهم كلما
حاولت الحكومة المصرية السعى لالغائها أو تخفيف وطأتها
سيكون له من الأثر الخطير ما يقرب أجل الامتيازات ، لأن الحال على
ماهى عليه لن تدوم طويلاً ولا بد لمبادئ العدالة أن تسود يوماً ما

زكى دباب

« تم البحث »